العدد ٢٠٠١/٢٣

الأحد ١٠ حزيران

أحد جميع القديسين

القديسين ألكسندروس وأنطونينا

اللحن الثامن

إنجيل السَحَر الأول

الرسالة

(عبرانيين ١١:٣٣–٤٠ و١٢: ١ و٢)

يا إخوةُ إنَّ القديسينَ أجمعين بالإيمانِ قهروا الممالكَ وعملوا البرَّ ونالوا المواعِدَ وسدُّوا أفواهَ الأسود* وأطفأوا حِدَّةَ النارِ ونجَوا من حدِّ السيفِ وتقوَّوا من ضعفٍ وصاروا أشِدَّاءَ في الحربِ وكسَروا مُعسكراتِ الأجانب* وأخذت نساءٌ أمواتَهنَّ بالقيامة. وعُذِّبَ آخرون بتوتيرِ الأعضاءِ والضَربِ ولم يقبَلوا بالنجاةِ ليحصلوا على قيامةٍ أفضل* وآخرون ذاقوا الهُزءَ والجَلْدَ والقيودَ أيضًا والسجنَ* ورُجموا ونُشِروا وامتُحنوا وماتوا بحدِّ السيف، وساحوا في جلودِ غنَمٍ ومَعَزٍ وهُمْ مُعْوَزون مُضايَقون مَجهودون* ولم يكنِ العالمُ مستحِقًا لهم. فكانوا تائِهين في البراري والجبال والمغاورِ وكهوفِ الأرض* فهؤلاءِ كلُّهم مشهودًا لهم بالإيمانِ لم ينالوا الموعِد* لأنَّ اللهَ سبقَ فنظرَ لنا شيئًا أفضلَ أنْ لا يكملوا بدونِنا* فنحن أيضًا إذ يُحدِقُ بنا مثلُ هذه السحابةِ من الشهودِ فلْنُلْقِ عنَّا كلَّ ثِقلٍ والخطيئةَ المحيطةَ بسهولةٍ بنا. ولنسابق بالصبرِ في

الإعتراف بالمسيح

لغويًا الإعتراف هو مجاهرة الإنسان علنًا بما يعرف والإقرار به. من هنا صار التداول بهذه الكلمة للدلالة على سر التوبة حصرًا. إلا أن هذا المعنى ليس سوى معنى فرعيًا وخاصًا جدًا للكلمة. فالإعتراف بعلاقتنا بالله هو نقل الإيمان من حالة المعرفة الداخلية الخاصة، إلى المجاهرة الإيمانية في موقف علني ثابت يقفه المؤمن، مُشيدًا على الدوام بعظمة الله وبأعماله الخلاصية. حتى ان اعتراف الخاطئ، لا يبلغ قيمته إلا متى كان إعلانًا بقداسة الله وشكرًا وتسبيحًا لخلاصه.

لقد دعا الرب يسوع صراحة تلاميذه إلى المناداة على السطوح بما سمعوا ورأوا (متى ١٠:٢٧). بيد أن الإعتراف بيسوع قدّام الناس، في «هذا الجيل الفاسق» (مر ٨:٣٨)، يقتضي السير عكس تيار العالم، وأحيانًا تبكيت العالم على خطيئته. المعترف بيسوع المسيح يصبح ناقوس دينونة يعرّي الخطيئة من قناعها في عالم وصفه أنبياء العهد القديم بالفاسق لأنه زنى على زواجه بالله (أش ٥٧: ٣، حز ١٦: ٣٢).

لهذا السبب نبّه يسوع أتباعه إلى ما سوف يكابدونه في سبيل نشر البشارة من جهة، والحفاظ على ثباتهم الإيماني من جهة أخرى. فمجاهرة المؤمن بإيمانه قدام الناس تصبغه علانية، كالجندي الذي يُستَدَل عليه من لباسه، فيحرز الاكليل لأن جهاده يكون قانونيًا، على حد تعبير الرسول بولس في رسالته الثانية إلى تيموثاوس (٢: ٤). «فكل من يعترف بي قدّام الناس أعترف أنا أيضًا به قدّام أبي الذي في السموات» (متى ١٠:٣٢). إن الإعتراف بيسوع المسيح أمام الجميع بالأقوال والأفعال والكيان كله، هو بحد ذاته شرف عظيم. فالمعترف بالمسيح يشهد علانية على انتمائه إليه، ويعترف بأقواله وأعماله وحياته كلها أن يسوع المسيح هو ابن الله ومنقذ العالم. وهو بالتالي يكون قد اشترك في عمل المسيح الخلاصي وأضفى على حياته الأرضية بُعدًا سماويًا. لكن، ألا يكتفي الرب بالإيمان القلبي حتى يدعو إلى المجاهرة بالقول والفعل، علانية وقدّام الناس؟ المسيح ابن الله يرمي

من دعوته هذه إلى توثيق أواصر القربى بينه وبين سامعيه، وصولا إلى بلوغهم الإيمان المحيي، الناشئ من الاتصال الحي به، والذي ولد إعتراف بطرس (متى ١٦:١٦) والمولود أعمى (يو ٩: ١٥–١٧). على هذا التساؤل أيضًا يجيب القديس يوحنا الذهبي الفم أن يسوع يريد أن يرفعهم إلى القدرة على التكلم بثقة وحرية، وإلى الكمال في المحبة. كلام الرب هذا ليس موجّهًا للتلاميذ وحسب، بل لكل من يبتغي اتباع يسوع. فالذي يفهم هذه الدعوة يمتلك الشجاعة على عيش الكلمة وتعليمها، بحرية وثقة، والثبات في الاضطهادات والضيقات... هذه الدعوة بما فيها من مكافأة وعقاب أتت لأتباع المسيح بثمار كثيرة كانت مصدر غبطة لهم وحبور. أعداء المسيح أنفسهم لم يسعهم إلا أن يعترفوا بثبات أتباعه وبأسهم في الإيمان. فكم بالحري يكون فرح المعترفين كبيرًا لدى سماعهم رب المجد نفسه يعترف بهم أمام الآب السماوي؟

أما من ينكر الرب يسوع، في هذا العالم، فيجلب لنفسه إنكار الرب له يوم مجيئه في المجد، لأنه كان السبّاق في فصل القربى مع الله. من ينكر أن يسوع هو المسيح ينكر الآب أيضًا، ومن ليس له الإبن ليس له الآب أيضًا، كما عبر الرسول يوحنا في رسالته الأولى (٢٢:٢ و٢٣).

التمنّع عن الإعتراف بيسوع هو أيضًا نكران له. فأهل المولود أعمى فضّلوا، خوفًا من اليهود، مجد الناس على مجد الله وفوّتوا على أنفسهم فرصة الإعتراف بفضل الله عليهم (يو ٢٢:٩). فالإضطهاد لا يعفي من الإعتراف، بل هو فرصة ذهبية له، كما نقرأ عن بطرس في سفر الأعمال (٢٠:٤) أو عن استفانوس في السفر عينه (٧: ٥٦)، لكي لا يكون نصيبنا في تلك الساعة المرهوبة إنكار المسيح لنا.

غبطة المعترفين لا تقاس، وفرحهم بالشركة مع المسيح أبدي لا يزول. هؤلاء هم المختارون، وهؤلاء هم الذين سيواصلون الإعتراف بالله وبيسوع في السماء (رؤ ١٥: ٣–٤ و٩:٥).

شفاعة القديسين

«كيف أعاملك يا إفرائيم وأصنع بك يا إسرائيل. أجعلك كأدمة وأصيِّرك كصبوئيم. قد انقلب فيَّ فؤادي واضطرمت مراحمي. لا أنفذ وغر غضبي ولا أهم بعد بتدمير إفرائيم لأني أنا الله لا إنسان وفيكِ قديس فلا أدخل المدينة» (هو ١١: ٨–٩).

تلخص هذه الآية مفهوم الشفاعة في الكنيسة إذ ان الله، برحمته، سوف يخلص المدينة بسبب وجود قديس فيها. هذا المفهوم هو الذي تعلمنا إيّاه الكنيسة في صلواتنا الليتورجية. في القداس الإلهي نرتل: «بشفاعة والدة الإله يا مخلص خلصنا»، ونرتل طروباريات (ترانيم النصر) القديسين التي تنتهي في معظمها بعبارة «... تشفع إلى المسيح الإله في خلاص نفوسنا». فالعذراء مريم والقديسون يتشفعون بنا أمام الرب يسوع ويرفعون الطلبات لأجلنا لكي يخلصنا الرب يسوع ويدخلنا إلى ملكوته في اليوم الأخير. هؤلاء القديسون أكملوا الجهاد الحسن وسبقونا إلى المجد الإلهي، ونحن نرفع الصلاة بمعيتهم أمام الله «لأن طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها» (يع ١٦:٥) لدى السيد.

الكتاب المقدّس في عهديه القديم والجديد مليء بالأمثلة على الشفاعة وهي دليل على استجابة الله صلوات القديسين:

+ في العهد القديم نرى إبراهيم

الجهادَ الذي أمامنا* ناظرين إلى رئيسِ الإيمانِ ومكمِّلهِ يسوع.

الإنجيل

(متى ١٠: ٣٢ و٣٣ و٣٧ و٣٨؛ ١٩: ٢٧–٣٠)

قال الربُّ لتلاميذهِ كلُّ مَنْ يعترفُ بي قدَّامَ الناسِ أعترفُ أنا بهِ قدَّامَ أبي الذي في السموات* ومَن ينكرُني قدَّامَ الناس أنكرُهُ أنا قدَّامَ أبي الذي في السموات* من أحبَّ أبًا أو أمًّا أكثر مني فلا يستحقني. ومَن أحبَّ إبنًا أو بنتًا أكثرَ مني فلا يستحقُني* ومَن لا يأخذُ صليبَهُ ويتبعُني فلا يستحقُني* فأجابَ بطرسُ وقالَ لهُ هوذا نحنُ قد تركنا كلَّ شيءٍ وتبعناك فماذا يكونُ لنا* فقال لهم يسوعُ الحقَّ أقولُ لكم إنّكم أنتُم الذين تبعتموني في جيلِ التجديد متى جلس ابنُ البشر على كرسيِّ مجدهِ تجلسون أنتم أيضًا على إثنَيْ عشَرَ كرسيًّا تدينون أسباطَ إسرائيلَ الإثني عَشَرَ* وكلُّ من ترك بيوتًا أو إخوةً أو أخواتٍ أو أبًا أو أمًّا أو امرأةً أو أولادًا أو حقولاً من أجل اسمي يأخذُ مِئَةَ ضِعْفٍ ويرثُ الحياةَ الأبدية* وكثيرون أوّلون يكونون آخِرين وآخِرون يكونون أوّلين.

تأمل

ذِكْرُ القدّيسين بهيٌّ ومرغوب دائمًا لدى الملائكة والبشر، لذلك نحن أيضًا نجاهد بحماس مماثل لهم لكي نحبَّ الله ونتشبّه بهم. لأن مثل هذا الذكر يلتهم القلوب أسرع

مـن الـنـار ويـحث عـلى الازدراء بـالـعـالم الـبـاطل وبملـذّاتـه كـلّـهـا أعـنـي الصداقة العـالمية المؤذية، محبّة الأهل وعطفَ الإخوة، الإهـتـمـام بـالمرأة والأولاد والحيـوانـات كـلّـهـا. ذكـر الـقدّيسين يرفـع ذهـننا إلى العلاء ويجعل فكرنا يحلق فـوق الأرضـيّــات نــحــو السماويّات ويجعلنا نرقص مع الملائكة وبالتالي نمثل أمـام العرش الإلـهي. بـيـنـما نكون بعدُ في الجسد نتشبّه بـالملائكة غير المتجسّدين وبـينما نمشي على الأرض نـفـتكر بـالسمـاويّـات. لأنـه هـكـذا بـولس مـعـلّـم الأمم يـحـثّـنـا عـلـى أن نـفـتـكـر بـالسماويّات حيث المسيح جـالس عـن مـيـامـن الـلـه. يقول: «فإن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حـيث المسيـح جـالس عـن يمين الـلـه، لأنـكم قـد مـتّـم وحـيـاتـكـم مسـتـترة مـع المسيح في الله» (كو٣:١-٢).

الذين يأتون إلى المسيح من كلّ نفوسهم ويضعون كلّ اهتمامهم به (١بط٥:٧) عـلـيـهـم ألاّ يـتـبـعـوا بـعـدهـا مشيئـاتـهم وتمتّعـات الجسد وألاّ تجـتـذبــهــم الأهـواء الجسديّـة. لأن الـذي يـؤمـن بـالـلـه عـلـيـه ألاّ يشك وكـأنـه يميل إلى تعطيل خدمته، لأن ضعيف الإيمان يُدان بمثابة ملحد لأن رجاءه بالله غيرُ ثابت.

هكذا فإن الشهداء القدّيسين قـد اسـتـسـلـمـوا لـلـه من كلّ قـلـوبـهـم حـتـى إنـهـم قـد ازدروا حـتـى بـالموت نـفـسـه وبـتـهـديد الطغيان العدائي، مستعدّين لتلقيّ العذابات يـفـاوض الـلـه مـن أجـل خـلاص سدوم وعمورة، فيتجاسر أن يطلب من الله أن لا يفني المدينة إذا وجد فيها خمسين باراً، وينخفض العدد تـدريـجـيـا إلى عشرة بشـفـاعـة إبـراهـيـم وإلحـاحـه (تك ١٨: ١٦-٣٣). ومـوسـى يـتـضـرع إلى الـلـه ويهدئ من غضبه بعدما قرر الله إفـنـاء الشـعـب الـذي أخـرجـه مـن مصر، لأن هذا الشعب صنع عجلاً مذهبًا وسجـــد لـه ظـانـا أنـه هو مــن أخـرجـه من مصر (خر ٣٢: ٧-١٤).

ولإظهار أهميّة صلاة القديسين يقول الله لارميا انه سيغفر لمدينة أورشـلـيـم إن وجـد فـيـهـا صـدّيـق واحـد: «يـقـول الـرب: طـوفـوا في شوارع أورشليم وانظروا واعرفوا وفتشوا في ساحاتها. هل تجدون إنسـانـا **أو يـوجـد عـامـل بـالـعـدل طالب الحق فأصفح عنها؟** » (ار ٥:١). كما ان الله يوصي أصدقاء أيـوب الـصـدّيـق أن يـطـلـبـوا صـلاة أيوب صاحب المكانة الخاصة في عـيـنـي الـرب: «واذهـبوا إلى عبدي أيـوب وأصـعـدوا مُـحـرقـة لأجـل أنـفسكم وعبدي أيوب **يُصلّي من أجلكم** لأني أرفع وجهه لئلا أصنع مـعـكـم حسب حمـاقـتـكـم لأنكم لم تقولوا فيّ الصواب كعبدي أيوب» (أيوب ٤٢: ٧-٨). يُعلّمنا الكتاب أيضـا ان الـلـه يستجيب لصلاة القديسين حتى وإن لم يكونوا على الأرض. هذا ما نتعلمه من قصة النبي إيليا وأليشع. إذ بعد صعود إيليا إلى السماء أخذ أليشع رداء إيـلـيـا وضـرب بـه مـاء نـهـر الأردن قـائلاً: «أين هو الرب إله إيليا؟» (٢مل ٢:١٤)، فانقسمت المياه وعبر إلى الجـهــة الأخـــرى. كـذلك رأى أونيا، رئيس الكهنة المكابي، في حلمه شيخـا يصلي إلى الله: «هذا هو ارميا نبي الله، محب الاخوة، المكثر من الصلوات لأجل الشعب والمديـنــة المقــدّســة» (٢مـكـا ١٥:١٢-١٤).

+ أما في العهد الجديد فنقرأ عن شفـاء مرضى وعجـائب قـام بـهـا الـرب يسوع بـنـاء عـلـى شـفـاعـة أشخـاص. ففي قصة شفاء غلام قائد المئة (متى ٨: ٥-١٣) شفى الرب يسوع الغلام بناءً على إيمان قـائـد المئـة الـذي تـوسـل يـسـوع لـيشفـي لـه ابـنـه. كذلك فقد أقام صبيَّةً من بين الأموات لأن أمها طلبت منه ذلك (متى ٩: ١٨-٢٥).

الرب يسوع المسيح وعد تلاميذه والمؤمنين بـه أنـه يـكـون مـعـهـم، والرب صادق في وعده، وهو يعمل مـن خـلال قديسيه. نقرأ في سفر أعـمـال الرسل عن الـعـجـائب الـتـي كان يقوم بها الرسل باسم الرب يسـوع: عـنـدمـا كـان الـرسـولان بطرس ويوحنا ذاهبين إلى الهيكل وجدا مخلعـا فقال له بطرس: «ليس لي فضةٌ ولا ذهبٌ ولكن الذي لي فـإيـاه أعـطـيـك. بـإسـم يـسـوع الناصري قم وامش» (٦:٣). كذلك نقرأ في سفر الأعمال عن ان ظل بـطـرس كـان يشـفــي المرضــى (١٥:٥).

يدعونا الرب يسوع باستمرار إلى الصلاة من أجل أحبائنا وحتى أعدائنا. هذا نوع من الشفاعة، لأنه لو لم تكن صلاتنا نافعة لهؤلاء لما كان الرب طلب منا أن نصلي من أجلهم. والرسول يعقوب يدعو المؤمنين أن «صلوا بعضكم لأجل بعض لكي تشفوا. طلبة البار تقتدر كـثيرا في فـعـلـهـا» (يـع ١٦:٥). الرسول بولس وعى فاعلية الصلاة لـذلك نـراه يـكـتب إلى أهـل رومـيـة: «فـأطلب إلـيكم أيـهـا الإخوة بربنا يسوع المسيـح وبمحبـة الروح أن تجاهدوا مـعـي في الصلوات مـن أجلي إلى الله لكي أنقذ من الذين هـم غير مـؤمـنـين في الـيـهـوديـة، ولـكـي تـكـون خـدمـتـي لأجـل أورشليم مقبولة عند القديسين» (١٥: ٣٠-٣١).

إذا كـانـت صلواتنا فاعلة إلى هـذا الحد، فـكم بـالأحـرى صلوات

القديسين الأبرار الذين جُرِّبوا واجتازوا التجربة بأمانة ونالوا الخلاص.

الإنجيلي يوحنا يرى في سفر الرؤيا صلوات القديسين وكأنها كؤوس من ذهب ممتلئة بخوراً (رؤ ٨:٥) وهي ثمينة في عيني الله. نطلب صلواتهم لأننا متحدون معهم في جسد المسيح الواحد ولا شيء يفصلنا عنهم: «لا موت ولا حياة ولا ملائكة ولا رؤساء ولا قوّات ولا أمور حاضرة ومستقبلة... تقدر أن تفصلنا عن محبة الله التي في المسيح يسوع ربنا» (رو ٨: ٣٨–٣٩).

في حديث الرب مع الصدّوقيين قال لهم: «أما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قِبَلْ الله القائل: أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب. ليس الله إله أموات بل إله أحياء» (متى ٢٢: ٣١–٣٢). إذا كان الله هو إله أحياء فالقديسون أحياء عند الله والموت لا يفصلنا عنهم ونحن في شركة معهم في كنيسة واحدة. ولكونهم بلغوا الكمال وهم خارج الجسد، وليسوا معرّضين للسقوط بعد، فهم يستطيعون أن يتشفعوا بنا أكثر أمام الرب. القديسون أحياء عند الله لأنه قال: «من آمن بي ولو مات فسيحيا، وكل من كان حيًّا وآمن بي فلن يموت أبدًا» (يو ١١: ٢٥–٢٦). وهؤلاء حملوا الإيمان أمانة في أعناقهم حتى الموت.

قد يأتي بعض المشككين ويقولون ان الوسيط بين الله والإنسان واحد وهو يسوع المسيح مستندين على قول الرسول بولس: «ولأجل هذا هو (يسوع) وسيط عهد جديد، لكي يكون المدعوون إذ صار موتٌ لفداء التعديات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي» (عبر ٩:١٥)، و«لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس، الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع» (١ تيمو ٢: ٥–٦).

ما يجب توضيحه ان الرسالة إلى العبرانيين تتحدث عن عمل الرب يسوع الخلاصي، ووساطته في هذا الخلاص، أي ان الكلام فيها هو عن سر الفداء الذي قام به إذ قدّم نفسه ذبيحة، كفارة عن جميع البشر، وبهذه الذبيحة اقتربنا من الآب. بهذا المعنى هو الوسيط الوحيد، لأنه وحده مات على الصليب، وبواسطته نلنا الخلاص الأبدي. أما شفاعة القديسين فهي ليست وساطة فداء، أي ليسوا هم الذين يخلصوننا لأن الرب يسوع افتداهم هم أيضًا. نطلب شفاعتهم لننال نِعمًا متعددة مادية أو روحية، والله هو الذي يُنعم. نطلب شفاعتهم لأنهم أحباء لله وقد نالوا حظوة في عينيه وسبقونا إليه وحُسبوا من خراف اليمين، ولأن طلبة البار تقتدر كثيرًا في فعلها لدى السيد.

من أقوال الآباء

+ إن فكر القديسين هو في أن يعرفوا إرادة الله. فالإنسان يمكنه أن يغلب كل شيء إذا ما أطاع الحقيقة، كونه مخلوقًا على صورة الله ومثاله. إن الأردأ بين كل الأرواح أن يتبع الإنسان قلبه (أي أفكاره)، لا شريعة الله، لأن هذا سيجعله في غمّ ونوح، كونه لم يعرف السر، ولم يجد طريق القديسين لكي يعمل فيها. والآن وقت العمل للرب، لأن الخلاص يُقتنى في وقت الضيقات، وقد كتب «بصبركم تقتنتون نفوسكم» (لو ١٩:٢١).

(الأب إيسيذوروس)

وجراحات الجسد كلّها، مقدّمين ظهورهم للجَلد وأعضاءهم للتقطيع.

والجلاّدون خدّام الطغاة الذين كانوا يفرحون برؤية الدم والمتعطشون لذلك، بعد القبض على القدّيسين يثخنونهم ضربًا ويمزّقون أعضاءهم عن طريق آلات العذابات المتنوّعة. بعدها، وبقلب عديم الشفقة، يسحقون أعناقهم فاصلين إيّاها كالوحوش المفترسة، ويهيّئون مشاعل ناريّة ليحرقوهم بقساوة كلية فينقضّون بعدها حتى على العظام.

استمدّ الشهداء قوّتهم من الله، فتحمّلوا الآلام بشجاعة وكانوا لامبالين أمام العذابات كلّها وكأنّها في أجساد غريبة بل كانوا يقاومون معذبيهم قائلين: «إن كان عندكم عذابات أشدّ فأتوا بها لأنها لا تعني شيئًا... فيصرخون أمام جلاّديهم: أين هي تهديداتكم؟ إن ناركم باردة وعذاباتكم غير فعّالة وضرباتكم بلا قدرة. ليس عندكم ما يساوي عزمكم. أمّا نحن فيقوى عزمنا ويزداد دائمًا».

لذلك وإن مات القدّيسون فإنهم يفعلون كالأحياء، يشفون المرضى، يطردون الشياطين وبقوّة الربّ يُفشلون شرّ سلطانهم. هذا لأن نعمة الروح القدس تتواجد دائمًا مع البقايا المقدّسة ممّا يفعل العجائب كلّها.

القديس
افرام السرياني